خطاب الاعتدال والتسامح الإسلامي

وأثره في استقرار المجتمع وتنميته

أ.م.د. هيثم عبد الرحمن عبد القادر علي

الجامعة الإسلامية

كلية الدراسات الإسلامية بولاية منيسوتا

رئيس قسم أصول الدين

hytham.elmasry2020@gmail.com

ISSN: 2071-6028

ISSN: 2071-6028

خطاب الاعتدال والتسامح الإسلامي وأثره في استقرار المجتمع وتنميته

أ.م.د. هيثم عبد الرحمن عبد القادر علي
الجامعة الإسلامية
كلية الدراسات الإسلامية بولاية منيسوتا

ملخص باللغة العربية

الخطاب الديني وتحديات الوسطية: حيث تتبلور الفكرة العامة لهذا البحث في الكشف عن قيمة الخطاب الديني (القرآن والسنة) وقدرته على إحداث الهياج الفكري اللازم بين أفراد المجتمع للاتجاه نحو السلام وتحقيق العمران، ومواجهة المعضلات الفكرية المتطرفة التي ترسخت في عقول وأذهان العديد من الأفراد حتى محيت من قواميسهم معنى الوسطية والاعتدال، وغاب عنهم مفهوم الرأفة والسماحة واليسر، الذي جاء به القرآن العظيم، ودعا إلى الرسول الكريم. **وتكمن إشكالية التشدد والتطرف الفكري:** في تسارع وتيرة الأفكار المتطرفة، والمذاهب الهدامة، وما تملكه تلك الجماعات المنحرفة من آليات وتقنيات حديثة جعلتها تستقطب العديد من شباب العالم الإسلامي، في إطار تزييف الخطاب الديني وتأويله بما يتناسب مع توجهاتها، لذلك فإن الوقوف على معاني الوسطية والاعتدال في الإسلامي ونشرها يعدًا أمرًا ملحًا لصيانة الشباب من الانحراف والحفاظ على أمن المجتمع واستقراره. **وتمثل عملية نقض التطرف ونقده** الدور الفعال لهذا البحث في تجلية الصورة الصحيحة لمفاهيم الوسطية والاعتدال في الإسلام، وبيان أثرها في تحقيق أمن المجتمع واستقراره وسلامته، لذلك قمت بالاعتماد على المنهج الاستقرائي للوقوف على الإطار العام لمفهوم الوسطية والاعتدال من خلال ما ورد في القرآن والسنة، ثم اعتمدت على المنهج التحليلي، لبيان دلالات النصوص القرآنية والنبوية في ترسيخ مفاهيم العدل والحرية والأمن والاستقرار وبناء المجتمع. **ومع تحقيق التوازن الديني في الخطاب الإسلامي**، يستطيع البشر أن يفهموا وظيفة الدين وعلاقته القوية والترابطية بالقيم الإنسانية والمجتمعية، فبالقدر الذي تبدو فيه أهمية الخطاب الديني لنشر الوعي الفكري والديني، ونشر الأحكام الإلهية، يعد وسيلة مهمة لنشر المفاهيم الصحيحة وتصويب الأفكار المغلوطة، ورد الحجج التكفيرية الخاطئة، والمساهمة بشكل فعال في ترسيخ معاني الاستقرار والنماء في المجتمع، رغم تنوع أعراقه، وتباين ثقافاته، واختلاف دياناته.

الكلمات المفتاحية: خطاب ، تسامح ، تنمية

Discourse of Islamic Moderation and Tolerance and its Impact on Stability and Development of Society

Assist. prof. Dr. Haitham Abdul Rahman Abdul Qader Ali

Abstract: The general idea of this research is to reveal the value of the religious discourse (Quran and Sunnah) and its ability to create the necessary intellectual agitation among the members of society in the direction of peace and achieving urbanization and to confront the extremist intellectual dilemmas that have become entrenched in the minds of many individuals who missed the concept of compassion, permissibility and ease, which the Holy Quran introduced and the Prophet called for. The problem lies in the rapid pace of extremist ideas, destructive doctrines, and the possession of these deviant groups of modern mechanisms and techniques that have attracted many young people in the Islamic world in the context of falsifying the religious discourse and interpreting it in accordance with its orientations. Therefore, shedding light on the meanings of the middle path and moderation in Islam and its dissemination is urgent for the maintenance of young people from deviation and maintain the security and stability of society. The aim of this research is to make clear the correct picture of the concepts of the middle path and moderation in Islam, and to explain the impact of these concepts on achieving the security, stability and safety of the society. Therefore I relied on the inductive method to find out the general framework of the concept of middle path and moderation through what is mentioned in the Quran and Sunnah. I used the analytical approach to show the implications of Qur'anic and prophetic texts in the consolidation of the concepts of justice, freedom, security, stability and the building of society. Finally, in this research I have concluded that under the religious balance of Islamic discourse, one can understand the function of religion and its relation to human and societal values. The more important the religious discourse is to spread intellectual and religious awareness and the dissemination of divine judgments, the correct concepts and correction of false ideas, the response of false takfiri arguments, and to contribute effectively to the consolidation of the meanings of stability and development in society, despite the diversity of its ethnicities, the different cultures and different religions, which is what we need in today's world to contribute strongly to the advancement of our societies The love of our people and the ambition of our children.

Keywords: speech, tolerance, development

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على نعمه التي لا تُحصى، وعلى عطائه الذي لا يُسْتَقصى، وصلى الله وسلم على نبيه المصطفى، ورسوله المجتبى، الذي أوتي من الكلم جوامعه، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان. وبعد:

فإن الخطاب الديني ليس مجرد كلمات رنانة، ولا شعارات براقة، ولا مواعظ فارغة المحتوى والمضمون، إنما هو رسالة فكرية تعمل على الارتقاء بالإنسان في جوانبه الدينية والروحية والعقلية والنفسية والتربوية والاجتماعية والسلوكية...إلخ، وهنا يمكننا القول بأن الخطاب الديني في جميع صوره وأشكاله له رسالة سامية يهدف من خلالها إلى التأثير الإيجابي في المخاطبين، ولكي يكون الخطاب الديني ذا أثر فعال في الناس، فإن لا ينبغي أن يكون خطابًا تقليديًا، بل يجب أن يكون خطاباً متجددًا يواكب الأحداث المتجددة والأوضاع المتغيرة[1]، في إطار يتناسب مع الزمان والمكان ومختلف الجماعات البشرية بغية الحصول على التغير الاجتماعي المطلوب الذي تسعى إليه كل أمة وتود تحقيقه؛ لتضمن سلامة المجتمع وتنميته واستقراره.

وبما أن الإشكالية الحقيقة في واقع العالم الإسلامي ليست في الخطاب الديني بقدر ما هي في إشكاليات المفاهيم المغلوطة، والأفكار المقلوبة، والتصورات المعكوسة، لذلك اخترت دراستي هذه، لنتعرف على الدور الحقيقي للخطاب الديني في إحداث عملية التغيير الاجتماعي المطلوب الذي ينطلق من قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[2]، وما ذلك إلا لأن الخطاب الديني المعتدل هو من أكبر الدعائم التي تساهم في عملية الإصلاح والتغيير لإيجاد مجتمع متسامي قائم على الاستقرار والتنمية.

المبحث الأول: تعريف الوسطية والاعتدال والخطاب الديني.

المبحث الثاني: أصول السماحة والاعتدال في الخطاب القرآني ومجالاتها.

المبحث الثالث: أصول السماحة والاعتدال في الخطاب النبوي ومجالاتها.

المبحث الرابع: دور الخطاب الديني المعتدل في التغيير الاجتماعي وتنميته.

المبحث الخامس: أثر اعتدال الخطاب القرآني والنبوي في استقرار المجتمع وسلامته.

---

(١) يقول علي بن أبي طالب: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ» صحيح البخاري (ح:١٢٧).

(٢) سورة الرعد، الآية ١١.

المبحث الأول: تعريف (الوسطية ـ الاعتدال ـ الخطاب الديني)

أولاً: **مفهوم الوسطية**: الوسطية في اللغة مأخوذة من مادة وسط، وتدل على معان كلها متقاربة، فيقول ابن فارس: (الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على: العدل والنصف وأعدل الشيء أوسطه ووسطه...)[١]، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾[٢]، وخلاصة استعمالاتها المتعددة أنها تستعمل في إطارين اثنين؛ الجانب المعنوي: ويراد بها الخيار والأفضل والعدل، أو قد ترد لما بين شيئين فاضلين، أو تستعمل لما بين الجيد والرديء، والخير والشر، والجانب الحسي: وتطلق على ما كان بين شيئين حسًا، كوسط الطريق، ووسط الدار، أما الوسطية في العرف الشائع، فإنها تطلق ويراد بها: الاعتدال في الاعتقاد والسلوك والعبادات والمعاملة والأخلاق.

ثانيًا: **مفهوم الاعتدال**: الاعتدال في اللغة: من العدل ضدّ الجَوْر. وعَدَلْتُ الشَّيْء بالشَّيْء عَدْلاً، إذا جعلته بوزنه. وعَدَلْتُ عَن الشَّيْء، إذا مِلْتَ عَنهُ[٣]، والاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عدلته وعدلته، والعدول: هم الخيار، وقد ذكر من معاني العدل والاعتدال: الحكم بالعدل، والاستقامة، والتقويم، والتسوية، والمماثلة، والموازنة، والتزكية، والمساواة، والإنصاف، والتوسط[٤]، أما الاعتدال في الاصطلاح فهو: (التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير)[٥].

ومما سبق يتبين: أن الاعتدال يرادف الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٦]، وقد كان من معاني الوسط التي أوردها المفسرون أنها تعني: العدل.

ثالثًا: **مفهوم الخطاب الديني**: الخطاب والمخاطبة لغة: مراجعة الكلام، والخطبة: الكلام المنثور المسجوع[٧]، وجاء في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[٨]، وقال

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ١٠٨/٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٣) جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي، تح: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ط١، ١٩٨٧م، ٦٦٣/٢.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ٤٣٠/١١.

(٥) حتى لا تذبل قيمنا، محمد بن أحمد الرشيد، مكتبة العبيكان، السعودية، ط٣، ٢٠١٤م، ص٢٩.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٧) لسان العرب، ابن منظور، ٣٦١/١، مرجع سابق.

(٨) سورة ص، الآية ٢٠.

جل شأنه عن عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾(١)، وعليه فقد يراد بالخطاب: الكلام نفسه؛ أي المضمون والمحتوى، وقد يراد به: الطريقة التي يؤدى بها الكلام، لذلك قيل في تعريفه اصطلاحًا: (هو كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها)(٢).

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نعرف الخطاب الديني بأنه خطاب يهدف لإيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، وذلك من إطار ديني أيا ما كان هذا الإطار إسلاميًّا أو مسيحيًّا أو يهوديًّا، على أن الخطاب الديني الإسلامي هو الخطاب الذي يستند إلى مصادر التشريع الإسلامي؛ من القرآن الكريم، والسنة النبويّة، ومصادر التشريع الإسلامية الأخرى، سواءً كان هذا الخطاب صادراً من جهة إسلامية، أو مؤسسة دعوية رسمية، أو غير رسمية، أو أفراد جمعهم الاستناد إلى الدين الإسلامي وأصوله كمصدر لأطروحاتهم.

وفي هذا المقام ننوه هنا على أنه ينبغي لمن يتصدر لهذا المقام أن يلتزم بالشروط التي تعينه على إيصال المراد من الخطاب، ومن أهمهما:

الإخلاص في المقصد والنية،، واستحقاق العلم اللازم لذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة حتى لا يقع فيما في إشكاليات متضاربة، وأن يتحلى بالأسلوب الخطابي الأمثل من القول اللين والحكمة والموعظة الحسنة، والصبر والتحمل لما يلحقه من المشاكل والمتاعب.

دلالة عنوان البحث: هو البحث في أصول دلالات الخطاب الديني من القرآن والسنة فيما يتعلق بالاعتدال والسماحة والوسطية، لإحداث تغيير اجتماعي يهدف إلى استقرار المجتمع وتنميته.

المبحث الثاني: أصول السماحة والاعتدال في الخطاب القرآني ومظاهرها

للخطاب القرآني أهمية كبرى في حياتنا، ذلك أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الذي يعول عليه في الكثير من القضايا والأحكام، كيف لا وهو سبيل الأنبياء والصالحين في البلاغ والبيان عن رب العالمين قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(٤)، ومن هنا يتبين لنا أهمية الخطاب القرآني في تقديم الحلول العاجلة والناجحة للكثير من

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٣.
(٢) تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد، أحمد عبدالله الطيار، حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد (٢٢)، ٢٠٠٥م، ١٢/٣.
(٣) سورة الجن، الآيتان ٢٢، ٢٣.
(٤) سورة المائدة، الآية ٦٧.

المشكلات التي تعاني منها الأمم والمجتمعات، وعلى رأسها قضية الإرهاب والتطرف والغلو والتشدد التي أقضت مضاجعنا، **فما هي أصول السماحة والاعتدال في الخطاب القرآني؟ وما هي أبرز مجالاتها؟** هذا ما سنجيب عنه في البيان الآتي:

- **أولاً: أصول السماحة والاعتدال واليسر في الخطاب القرآني:**

لقد تضافرت الآيات القرآنية الدالة على أن السماحة والتيسير ورفع الحرج أصل عظيم من أصول الشريعة التي بينها القرآن الكريم، فتلك رحمة من الله تعالى بعباده، ذلك أنه لا يكلف العباد ما لا يطيقون، بل لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وقد يطيقون أكثر مما كلفهم، ولكنه سبحانه رفع الحرج عن هذه الأمة ويسر لها الأحكام والتكاليف، بحيث يمكننا تصنيف الآيات الواردة في هذا الشأن، إلى ثلاثة أنواع؛ بيانها كالتالي:

١- **النوع الأول: الآيات المصرحة بإرادة الله تعالى اليسر والتخفيف بهذه الأمة:** وهي الآيات التي جاءت لترفع التضييق على الناس، وتضع عنهم القيود والأغلال، وتحقق السعادة والاطمئنان، وهي آيات كثيرة يصعب علينا حصرها في هذا المقام، ولكن نقتصر على طائفة منها واضحة في الدلالة، مع تقريرات أهل العلم عليها، فمن أبرزها ما يلي:

(أ) قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١]، فتدل الآية على أن الله ﷻ أراد بتشريعه اليسر في الأحكام، واليسر: هو كل ما لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم، أما العسر فهو ما يجهد النفس أو يضر بالجسم، ودلالتها على المقصود ظاهرة، فإذا أراد الله اليسر ونفى العسر، فقد نفى الحرج، وهل الحرج إلا العسر، وإذا أراد اليسر فقد نفى الحرج، والآية وإن كانت واردة في شأن الرخص في الصيام إلا أن المراد منها العموم، كما صرح بذلك غير واحد من المفسرين، قال أبو حيان: "وظاهر اليسر والعسر العموم في جميع الأحوال الدنيوية والأخروية"[٢]، وعليه فقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ تأكيد لإرادة اليسر.

(ب) وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[٣]، والآية في معرض إباحة نكاح الأمة عند عدم طوْل الحرة، إلا أن أغلب المفسرين على أن ذلك عام في جميع أحكام الشرع، فالمراد هو عموم التخفيف في الشريعة، وذلك يبتني على ضعف الإنسان أمام رغباته ومغريات الحياة، فكأن الله ﷻ يريد لهذا المخلوق الضعيف التخفيف والرحمة واليسر ورفع الحرج والمشقة وإزالة الضرر[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩/٢.

(٣) سورة النساء، الآية ٢٨.

(٤) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ضوابطه وتطبيقاته، د. صالح عبدالله حميد، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٠٣هـ، ص٦٩.

(ت) وقوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾[١]، أي للحنيفية السمحة السهلة التي هي أيسر الشرائع وأوفقها بحاجة البشر مدى الدهر.

٢- النوع الثاني: الآيات المصرحة برفع الحرج والعنت عن الأمة:

وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي نصت على نفي الحرج عن هذا الدين، آيتان منها تنفان الحرج عن الدين كله وبخاصة آية الحج، والآيات الأخر تنفي الحرج عن فئات معينة وفي حالات خاصة، وهذا لا يعني أنها قاصرة في الدلالة على من نصت عليهم الآيات، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٢]، وذلك كالتالي.

(أ) مثل قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾[٣]، والحرج المنفي هنا هو جميع أنواع الحرج؛ لأنها نكرة في سياق النفي، ثم أكد هذا العموم بدخول حرف "من" عليها.

(ب) ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[٤].

يقول أهل التفسير في هاتين الآيتين من المائدة والحج: إن الله ﷻ ما كلف عباده ما لا يطيقون، وما ألزمهم بشيء يشق عليهم إلا جعل لهم فرجًا ومخرجًا، قال الجصاص عند تفسير آية المائدة: "لما كان الحرج هو الضيق ونفى الله عن نفسه إرادة الحرج بنا، ساغ الاستدلال بظاهره في نفي الضيق وإثبات التوسعة في كل ما اختلف فيه من أحكام السمعيات، فيكون القائل بما يوجب الحرج والضيق محجوجًا بهذه الآية"[٥].

يقول الطوفي الحنبلي: "وذلك عام مطرد لأن الله عز وجل لم يشرع حكمًا إلا وأوسع الطريق إليه ويسره حتى لم يبق دونه حرج ولا عسر" ، ثم قال: "ويحتج بهذه الآية ونحوها من رأى أنه إذا تعارض في مسألة حكمان اجتهاديان خفيف وثقيل يرجح الخفيف دفعًا للحرج"[٦].

٣- النوع الثالث: الآيات المصرحة بأن الله لا يكلف العباد إلا بما في وسعهم:

---

(١) سورة الأعلى، آية ٨.
(٢) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ضوابطه وتطبيقاته، د. صالح عبدالله حميد، ص٥٩، مرجع سابق.
(٣) سورة المائدة، الآية ٦.
(٤) سورة الحج، الآية ٧٨.
(٥) أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، تح: محمد القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ٣٣/٤.
(٦) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، الطوفي الحلبي، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ١٠٤/٢.

ISSN: 2071-6028

(أ) كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[١]، وفي هذه الآية الكريمة بيان أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف النفس إلا في حدود قدرتها الميسرة دون بلوغ غاية الطاقة، ورغم أن الآية ظاهرة الدلالة في عدم التكليف إلا في حدود القدرة والميسرة، إلا أن الله قد أعقب هذه الجملة بدعاء وجهه إلى عباده المؤمنين يبين فيه ما أمتن عليهم من عدم المؤاخذة بالخطأ والنسيان وحط الاصار والأغلال وعدم التكليف بما لا يطاق وقد انتظم ذلك في ثلاثة أمور؛ الأول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، والثاني: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، أما الثالث فهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾.

(ب) وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٢]، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾، بيان للعمل الصالح الموصل إلى الجنة وأنه سهل وميسر في حدود وسع البشر.

قال الرازي: "وفيه تنبيه على أن الجنة مع عظم محلها يوصل إليها بالعمل الصالح من غير تحمل الصعب"[٣]، ولا شك أن في ذلك ترغيبًا في اكتساب ما يؤدي إلى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسير حصوله، فإذا علم أن مبنى التكليف على الوسع زادت الرغبة في ذلك الاكتساب لحصوله على وجه اليسر دون العسر.

- **أبرز مظاهر اليسر والسماحة والاعتدال في الخطاب القرآني.**

١- **يسر الخطاب القرآني في بيان التكاليف الشريعة:** فقد فرضت الشريعة الإسلامية على المسلمين تكاليف شرعية، وفرائض معينة، لكنها راعت في ذلك أحوال المرضى والذين لا يستطيعون أداء العبادات، (في الصلاة والصيام والحج) وغيرها من العبادات الأخرى.

٢- **راعى الخطاب القرآني طبيعة النفس الإنسانية** فأكدت القرآن على غفران الله تعالى لذنوب العباد، وعدم مؤاخذتهم على ما يحدثون به أنفسهم من إتيان الذنوب والمعاصي، فمن همّ بسيئةٍ لم تكتب له، وإذا فعلها كتبت عليه سيئة واحدة.

٣- **أكد الخطاب القرآني على حرية العقيدة الدينية،** فمنع الإكراه والإجبار على الاعتناق للإسلام حيث يقول تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[٤]، وعليه فإن التاريخ الإسلامي

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٤٢.
(٣) مفاتيح الغيب، أبو بكر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٧٩/١٤.
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

لم يسجل واقعةً واحدة أجبر فيها المسلمون غيرهم على اعتناق الإسلام، بل يخير الناس في ذلك حتّى يدخلوا في الإسلام طائعين راغبين .

٤- **دعوة الخطاب القرآني إلى السماحة في رد والإساءة:** فقد حثت الشريعة الإسلامية على الصبر على الإساءة، ومقابلتها بالإحسان والعفو لأنّ ذلك من شيم المؤمنين، وخصال الموحدين ذوي العزيمة، فقد قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(١).

المبحث الثالث: أصول السماحة والاعتدال في الخطاب النبوي ومظاهرها

إن المتصفح لسيرة الرسول محمد ﷺ يرى بصورة جلية وواضحة أن صفة الوسطية كانت تلازمه في جميع مراحل عمره قبل البعثة النبوية وبعدها، فقد مثلت أقواله بعدًا فكريّا وإيمانيًّا لقضية الوسطية والاعتدال في الإسلامي، حيث تبلورت أحاديثه حول التركيز على قضيتين الأولى: بيان اليسر والسهولة في الدين، والثانية: الدعوة العملية والتطبيقية لقيمة الوسطية والاعتدال واليسر والسماحة فيما بين الناس بعضهم البعض، وبيان ذلك كالتالي:

أولاً: أصول السماحة والاعتدال واليسر في الخطاب النبوي:

١- **أحاديث تؤكد على يسر الدين واستقامته وسهولته:** ومن ذلك ما رواه أبو هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»(٢)، وقوله ﷺ لمن أراد أن يتواكل على القدر دون العمل: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»(٣)، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾(٤)، هذا فيما أورد أبو عروة ﷺ قَالَ: «كُنَّا نَنْتَظِرُ النَّبِيَّ ﷺ، فَخَرَجَ رَجِلًا يَقْطُرُ رَأْسُهُ، مِنْ وُضُوءٍ أَوْ غُسْلٍ، فَصَلَّى، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ، جَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ، يَا رَسُولَ اللهِ، أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِينَ اللهِ فِي يُسْرٍ"، ثَلَاثًا يَقُولُهَا»(٥).

٢- **أحاديث عامة في الحث على المعاملة باليسر واللين في الجانب الدنيوي:** حيث تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بين أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ

---

(١) سورة الشورى، آية ٤٣.
(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٩).
(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٤٧).
(٤) سورة الليل، الآية ٦.
(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن برقم (٢٠٦٦٩).

إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»[١]، وقوله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[٢]، وقوله ﷺ فيقول: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا»[٣].

- **ثانيًا: أبرز مظاهر اليسر والسماحة والاعتدال في المواقف النبوية.**

تعددت مظاهر الوسطية والاعتدال والسماحة واليسر في حياة الرسول ﷺ حتى إن الحديث عنها يحتاج إلى عدد هائل من الرسائل العلمية، لتضيء الجوانب العملية والتطبيقية في حياته قبل البعثة وبعدها، وقبل الهجرة وبعدها، ومظاهرها في معاملاته مع الأعداء من المشركين، والأصحاب، والأجلاف من الأعراب، والمنافقين، وأصحاب الإشاعات والأقاويل الباطلة، ولعلنا نقتصر على بعضها حيث لا يتسع المقام لنا لذكرها، فنوضحها على النحو التالي:

١- **موقفه ﷺ من اليهود بعد الهجرة إلى المدينة،** إذ لم يقف منهم موقف عداء؛ بل استوعب اليهود كمواطنين ضمن مجتمع المدينة ونظم علاقتهم بالمسلمين عن طريق الدستور الذي وضعه بعد هجرته إلى المدينة.

٢- **موقفه ﷺ في حادثة الافك** عندما أُتهمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالزنا، فوقف الرسول ﷺ موقفاً وسطاً، إذ لم ينفِ ولم يثبت، مع أنه ﷺ كان متيقنًا ببراءة عائشة رضي الله عنها في قرارة نفسه، ودليل ذلك قوله ﷺ: (فو الله ما علمْتُ على أَهْلي إلا خيراً)[٤]، ولكنه انتظر وحي السماء ليفصل في هذا الأمر، ثم أنزل الله براءتها رضي الله عنها في القرآن الكريم وهو من أبرز الشواهد على وسطية الرسول ﷺ.

٣- **استشارته ﷺ لأصحابه في العديد من الأمور وعدم استئثاره بالقرارات،** ومن ذلك أخذه بمشورة الحباب بن المنذر في معركة بدر، كذلك كان يأخذ برأي أزواجه في أحيان كثيرة كما في الحديبية عندما أخذ ﷺ برأي زوجته أم سلمة رضي الله عنها.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦١٢٦)، ومسلم برقم (٢٣٢٧).
(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٩٩).
(٣) رواه البخاري برقم (٦٩)، ومسلم برقم (١٧٣٤).
(٤) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ابن حبان البستي، دار الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ، ٢٧٧/١.

ISSN: 2071-6028

٤- من الأدلة الواضحة على وسطية الرسول ﷺ ومنهجه، موقفه المتسامح مع غير المسلمين في المدينة بعد الهجرة، فقد كان مجتمع المدينة يحتوي أخلاطاً من ديانات مختلفة منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ومنهم اليهود، وكان الرجل مسلماً وأبوه مشركاً، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشركاً، وكان الرسول ﷺ يعاملهم معاملة طيبة فكان يمر على مجالسهم، وكان في المجالس مسلمون، فلا ينكر عليهم جلوسهم، وهذا دليل على وسطيته ﷺ، ومن الوقائع الدالة على ذلك ما جاء عن عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد ﷺ حدثه: (أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة ببني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين)[١].

٥- **وسطية الرسول ﷺ في دعوة الشباب**: أعطى الرسول ﷺ أهمية كبيرة لشريحة الشباب؛ وذلك لأن هذه الشريحة يقع على عاتقها أعباء المجتمع المسلم من جهة وأعباء حمل الدعوة الإسلامية من جهة أخرى، لذلك انتهج الرسول ﷺ منهجا خاصاً في دعوتهم إلى التمسك بالدين الجديد فقد بين أهميتهم في نصرة هذا الدين فكان ﷺ يوصي بالشباب، حتى ذكر أن الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري ﷺ كان عندما يرى الشباب يقول لهم: «مرحبا بوصية رسول الله ﷺ »[٢]، ولعل أبرز نموذج في دعوة الشباب باللين والحوار العقلي، كلام الرسول ﷺ مع شاب جاء يطلب من الرسول ﷺ أن يأذن له بالزنا، فعن أبي أمامة «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ ﷺ: "ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ" قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ" قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ" قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٢٠٧).
(٢) رواه ابن ماجه، برقم (٢٤٧)، تح محمد فؤاد عبد الباقي، ٩٠/١ دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

لِخَالَاتِهِمْ"، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[١].

المبحث الرابع: دور الخطاب الديني المعتدل في التغيير الاجتماعي وتنميته

منذ قديم الزمن كان من بين البشر من يعتقد أن الثبات وعدم التغير هو الصورة الفعلية للوجود والمجتمع، ومن بينهم أيضًا من اقتنع أن التغير والتحول هو الصورة الفعلية الكامنة في الفرد والجماعة والمجتمع، غير أن علم الاجتماع المعاصر يرى أن التغير سمة فعلية في المجتمعات ترتقي إلى حد كونها ظاهرة شائعة لا تقبل الشك والريب، حتى غدا موضوع التغير الاجتماعي أحد أهم الموضوعات في علم الاجتماع الذي راح يصب كثيرًا من دراساته لتأمل هذه الظاهرة ودراستها[٢]، وبما يمثله الخطاب الديني من ركن أصيل ضمن أركان العملية التربوية المهمة في بناء الفرد والمجتمع، كانت أهمية الخطاب الديني في التغيير الاجتماعي، والتي نتناولها بالتوضيح في هذا المبحث، وذلك على النحو التالي:

أولا: مفهوم التغيير الاجتماعي:

يعرف التغير الاجتماعي على أنه: "ظاهرة طبيعية تخضع لها نواميس الكون وشؤون الحياة من خلال التفاعلات والعلاقات والتبادلات الاجتماعية المستمرة والتي تفضي الى تغير دائم"[٣]، ويعرف أيضًا بأنه: كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، والتغير الاجتماعي على هذا النحو ينصب على تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، بإسناد حسن برقم (٢٢٢١١).

(٢) الخدمة الاجتماعية والتغيّر الاجتماعي، د. الفاروقي زكي يونس، دار عالم الكتب، مصر، ط٢، د.ت، ص٢٣٥.

(٣) الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، إبراهيم العسل، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٩٧م، ص٧٥.

(٤) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م، ص٣٨٢.

ثانياً: الخطاب الديني وإسهاماته في التغيير المجتمعي.

إن الخطاب الديني الفعال، هو الخطاب الذي يمكن الإنسان من تحقيق الأهداف التي خُلِقَ لأجلها، والقائمة على تحقيق العبادة لله وعمارة الأرض(١)، لأنه الخطاب الوحيد القادر على علاج جميع الانحرافات التي تعاني منها المجتمعات اليوم سواء أكانت هذه الانحرافات عقدية أم فكرية، أم أخلاقية وسلوكية، حيث يعد الدين أحد أهم عوامل التغيير في المجتمعات، بل هو من العوامل الرئيسية في تكوين الحضارات، حيث لا توجد دعوة دينية إلا وكان لها اتباع يؤمنون بها ويتبعون قواعدها الصالحة والمعمرة، وإن غاية وأثر الدين الصحيح هي إصلاح القوم الذين خوطبوا به، وساروا بطريقة على أسس مهمة في البناء والاكتمال للمجتمع، والتي يمكننا أن نشير إلى أهمها عبر الأمور التالية:

١- **تحقيق التنمية المستدامة**: والتي يقصد بها التنمية التي تفي باحتياجات الجيل الحالي دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على الوفاء باحتياجاتهم وعدم مصادرة احتياجات الآخرين والعبث بمقدرات الأمة ونبذ الأنانية وحب الذات والعيش على معاناة الآخرين.

هكذا فإن مهمة الخطاب الإسلامي هو توجيه مبادئ التنمية المستدامة من خلال توفير متطلبات البشرية حاليًا ومستقبلا، سواء أكانت مادية أو روحية بما في ذلك حق الإنسان في كل عصر ومصر في أن يكون له نصيب من التنمية الخُلقية والثقافية والاجتماعية، وهذا بُعد مهم تختلف فيه التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي عن التنمية المستدامة في النظم والأفكار الأخرى؛ لأنه يعتمد على مبدأ التوازن والاعتدال في تحقيق متطلبات الجنس البشري بشكل يتفق مع طبيعة الخلقة الإلهية لهذا الكائن، وتوجيه الخطاب نحو التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي لا تجعل الإنسان ندًا للطبيعة ولا متسلطًا عليها، بل تجعله أمينًا عليها محسنًا لها، رفيقًا بها وبعناصرها، يأخذ منها بقدر حاجته وحاجة من يعولهم بدون إسراف، وبلا إفراط ولا تفريط وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾(٢)، كما أمها تُعد لونًا من ألوان شكر المنعم على ما أنعم به على خلقه، انطلاقًا من كون العمل في الأرض نمطًا من أنماط الشرك لله كما قال الله: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(٣).

---

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦]، وقال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

(٢) سورة المائدة، الآية ٣١.

(٣) سورة سبأ، الآية ١٣.

٢- **تحقيق العدالة الاجتماعية**: فالخطاب الديني يكون قاصرًا إن تجاهل "العدالة الاجتماعية" التي تحدث عنها القرآن الكريم في بحر آياته العديدة وأرست قواعدها السنة النبوية، وأوضح أسسها الرسول ﷺ حيث يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ»[١]، كما دعا إلى تكوين المجتمع الفاضل الذي يسوده التكافل والترحم والتعاطف .. فالعدل أساس بناء المجتمع وكذلك تقوم عليه الدول، وإن الله لينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، فما أحوج الأمة ودعاتها ورعاياها إلى إتباع هذا المنهج القويم والسديد ونشره بين المجتمعات وإظهاره للعالم.

جدير بالذكر: أن العدل في النص الديني يشكل محورًا لكل شيء، وعليه ترتكز فلسفة التشريع، وحكمة التكوين، وبناء المجتمع، وحفظ الحقوق، وتعميق المبادئ الأخلاقية، ولأهمية العدل في حياة الناس فقد تكررت مادة العدل بمشتقاتها ما يقرب من ثلاثين مرة في القرآن الكريم، ويشير هذا التكرار إلى عناية التنزيل المجيد بالحديث عن العدل، لهذا ركز الخطاب الإسلامي على ضرورة تفعيله وتجسيده في الواقع من خلال الاستشهاد بالنص الديني، حيث يقول الله تعالى مبينًا الهدف الثاني من بعثة الأنبياء والرسل بعد تعريف الناس بالخال جل وعلا وهو بسط العد بينهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[٢]، ذلك لأن الاجتماع البشري لا يمكن أن يتأسس فيه روح النظام والقانون والمساواة إلا بتحقيق العدل والعدالة، ومن هنا جاء الأمر الإلهي بضرورة تطبيق العدل: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾[٣]، وقولت تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[٤].

٣- **تحقيق التكافل الاجتماعي**: فالمتأمل في جماليات الخطاب الديني الذي يرى ما ينطوي عليه نظام الصدقة من تكافل اجتماعي بين أبناء المجتمع الإسلامي، بمواساة الغني للفقير والمسكين، ومراعاة المجتمع للذين يتفرغون لشئون المجتمع، وإعانتهم على القيام بما ندبوا إليه من ذلك خير قيام، ثم إعطاء المؤلفة قلوبهم وهم الذين دخلوا في الدين ولم يتمكن من نفوسهم التمكن الكامل، ثم يعطي المكاتبون لاستخلاص رقابهم، وشراء حريتهم، وفي هذا دليل

---

(١) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح برقم (٢٣٤٨٩).
(٢) سورة الحديد، الآية ٢٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية ٢٩.
(٤) سورة النحل، الآية ٩٠.

ISSN: 2071-6028

على أن الإسلام تواق إلى الحرية، معين عليها، مرغب في منحها، وهذا ملحظ سياسي واجتماعي عظيم، ثم من أحاطت به المكاره والديون جعل الله له في ذلك المال نصيبًا، يسدد به دينه ويستأنف به حياته، أما ابن السبيل وهو المسافر الذي نفذ ماله أو ضاع فينبغي أن يعان من الزكاة حتى يبلغ أهله، فإنه في هذه الحالة أخو الفقير والمسكين، وإن كان في بلده غنيًّا، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، أما الإنفاق في سبيل الله فهو قمة الإنفاق يقول ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»، لذلك كان النص الديني حريصًا على مصاريف الصدقات بيانًا قاطعًا، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١).

٤- **القضاء على البطالة:** إن الناظر لزيادة معدلات البطالة في العالم يدرك بلا شك عمق المشكلة التي تواجه المجتمعات التي تنشد الرفاهية في المعيشة، وتطمح إلى تحسين الأوضاع الاجتماعية وتطبق التنمية المستدامة، فلا بد من توجيه الخطاب الديني إلى وضع الحلول والبدائل الإسلامية لهذه الظاهرة العالمية المتفاقمة والمنتشرة في أصقاع المعمورة.

فالبطالة والفقر هما أحد مؤشرات التنمية في المجتمع لهذا ركز النص الديني على ضرورة مكافحة البطالة من خلال توجيه الخطاب نحو الشباب والأمة لتفعيل دور الزكاة كآلية للحد من البطالة والفقر، حيث فرض الله تعالى الزكاة على الأغنياء لترد على الفقراء، وهي من حق الفقراء ولا منة لمعطيها عليهم فيها، ويجب على ولي الأمر أن يحصل زكاة الأموال الظاهرة منهم ليعيد توزيعها، ومن أنكرها أو أبى دون أن يؤديها أخذت منه بالقوة وعوقب على ذلك، قال ﷺ: «فَمَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا فَلَهُ أَجْرُهَا وَمَنْ كَتَمَهَا، فَإِنَّا لَآخِذُوهَا، وَشِطْرَ إِبِلِهِ عَزِيمَةً مِنْ عَزَائِمِ رَبِّكَ»(٢)، ومن هنا يتضح أن تشريع الزكاة يعتبر تمويلاً آليًّا للفقراء الذين لا يجدون الكفاف، كما أنها تمويل لمن أراد الاتجار والاستثمار من الفقراء، وكذلك قضاء لديون الغارمين بسبب الجوائح والإفلاس وغيرها من الأسباب، وعليه فلا شك أن الهدف الأسمى للزكاة أن يتمكن الفقير من إغناء نفسه بنفسهن حيث يكون له مصدر دخل ثابت يغنيه عن طلب المساعدة أو الزكاة مرة أخرى، حيث يكون من شأن الزكاة والأوقاف أن تساهم في فرص العمل في المجتمع المسلم من خلال استثمار الأراضي والمباني التي يوقفها أصحابها طمعًا في الصدقة الجارية.

---

(١) سورة التوبة، الآية ٦٠.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى، برقم (٢٢٣٦)، والدارمي برقم (١٧١٩).

ISSN: 2071-6028

٥- **الاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها**: إن الخطاب الديني والإسلامي لا يغفل مشاكل البيئة التي أدت إليها الثورة الصناعية المعاصرة؛ فأحدثت خللاً كبيرًا في البيئة؛ ولذلك ينبغي توعية الناس وعدم إغفال هذا الجانب والدعوة إلى التواز والترتيب والتنظيم لجميع جوانب حياتنا وبيئتنا التي نعيش فيها، والاهتمام بالنظافة والهندام والمظهر الحسن فالله جميل يحب الجمال، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾(١).

ومما سبق ننتهي إلى القول بأن الخطاب الديني المعاصر له دور كبير في إبقاء باب التغيير مفتوحًا ليتلاءم مع التطورات من زمان لزمان ومن جيل لجيل، وذلك من خلال النظر الى المستقبل بفكر منفتح وعقل قادر على التكيف مع متطلبات الزمان الذي يعيش فيه كون هذه الفترة الزمنية التي يمر بها مجتمعنا اليوم تحتاج إلى ثقافة خطاب واعية، قادرة ومتجددة على تغيير العقول الفردية ومن ثم تغير المجتمع الذي بدأ يتلاشى وينهار بسبب العصابات التكفيرية التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ منه والذي بدأت تؤثر على العقول الفردية بشكل كبير جدًا عمل على فقدانها مبادئها وأصولها الدينية التي نمت وترعرعت عليها، وفي هذا الصدد يجب الإكثار من الخطب الدينية المعتدلة التي لها الدور الكبير والنظم الواعية منذ عصور قديمة جداً في التجدد والتغيير واصلاح الامة كون الدين هو عماد المجتمع وصلاحه، كون التأُثير الروحي للدين مازال قائماً ليس عند العرب فقط بل في جميع انحاء العالم الاسلامي، وان كان هنالك دور في تراجع المجتمعات والكيانات الاسلامية على المستوى العلمي والسياسي.

المبحث الخامس: أثر اعتدال الخطاب القرآني والنبوي على الفرد والمجتمع

لما كان الخطاب الديني يستمد أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يتسم بالاعتدال والسماحة والوسطية الفكرية والدينية بعيدًا عن التشدد والغلو وتحريض الناس، حيث استطاع رسول ﷺ أن يخاطب جميع فئات البشر، فعاش في مكة مع الكفار وكذلك في المدينة أبرم عهد مع اليهود وتعايش معهم تحت سقف دولة واحدة، وما ذلك إلا ثمرة من ثمار اعتدال الخطاب القرآني والنبوي، والتي نوضحها على النحو التالي:

- **نبذ العصبية والدعوة إلى الحوار**: وهذا مطلب ملح بين جميع فئات المجتمع مسلمين وغير مسلمين، فنحن مطالبون بجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم أمام العقبات التي تقف في طريقنا، لذلك ينبغي علينا أن نكون دعاة وحدة وسلام فيما بيننا، فقد دعا الرسول أشد الناس

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٦.

عداوة له الى الحوار حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١).

- **التعايش السلمي:** داخل المجتمع المسلم فالوسطية في الخطاب تنشر المحبة بين المجتمع والطوائف المختلفة تحت شعار متميز وضعه الرسول ﷺ «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٢)، أما فيما يتعلق بالتعايش مع المخالفين في الاعتقاد فقد وضحه ربنا ﷻ، حيث يقول: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٣).

- **العمل على نشر القيم والمبادئ العظيمة:** الداعية إلى التسامح وحب الخير للآخرين ونشر ثقافة التسامح ونبذ الأحقاد والغل فيما بيننا قال تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

انتشار الامن والأمان بين المجتمع: حيث يساهم الخطاب الديني في العمل على استقرار المجتمع وأمنه انطلاقًا من أصول الخطاب القرآني الذي بين أهمية الأمن ودوره في استقرار المجتمع عبر دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام وتذكير العرب بنعمته عليها، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾(٥)، وفي السنة النبوية يبين الرسول الكريم ﷺ أهمية الحفاظ على الأمن وشدد النكير على من يروعون الناس ويرهبونهم فقال ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**»(٦)، وفيما يتعلق بترويع غير المسلمين يقول ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»(٧)، كما شدد على إثم وجرم من يقوم بإيواء المجرمين حيث يروي جعفر بن محمد عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ وُجِدَ مَعَ سَيْفِ النَّبِيِّ ﷺ صَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ بِقَائِمِ السَّيْفِ فِيهَا: «إِنَّ أَعْتَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ الْقَاتِلُ غَيْرَ قَاتِلِهِ ، وَالضَّارِبُ غَيْرَ ضَارِبِهِ ، وَمَنْ آوَى مُحْدِثًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ، وَمَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوْلَاهُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.
(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (١١)، ومسلم برقم (٤٥).
(٣) سورة الممتحنة، الآية ٨.
(٤) سورة الحشر، الآية ١٠.
(٥) سورة إبراهيم، الآية ٣٥.
(٦) رواه أبو داود في سننه برقم (٥٠٠٤)، وصححه الألباني.
(٧) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٩١٤).

ISSN: 2071-6028

أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» قُلْتُ لِجَعْفَرٍ: مَنْ آوَى مُحْدِثًا الَّذِي يَقْتُلُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»[١]، ويفهم من ذلك الدعوة إلى محاربة الأفكار الهدامة الداعية الى الاخلال بالمن والسلم المجتمعي فالأمن مطلب لبقاء البشرية ومطلب للبناء والتعمير للأرض ونشر الدين وتعليم البشرية دين ربها.

- **تحقيق التكافل الاجتماعي والتراحم بين المجتمعات:** على اختلاف مذاهبها ومشاربها الفقهية والطائفية فبالخطاب الديني المعتدل الوسطي المنهج ينتشر التعايش بين الناس والتراحم والتعاطف فكل واحد يسعى الى الأجر والمثوبة من الله وتقديم يد المساعدة للآخرين اقتداء بالرسول القائل: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ»[٢]، فإذا تكلم أصحاب الخطاب الديني بما سبق كان أدعى للناس إلى التطبيق والتنفيذ ونشر الخير بين الناس.

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (١٨٨٤٧).
(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٦٠٢٦).

الخاتمة

- **أولاً النتائج:**

١- يراد بالخطاب الديني الإسلامي المعتدل هو كل ما يصدر عن علماء الدين من أقوال أو أفعال أو نصائح أو مواقف سياسية واجتماعية من قضايا العصر.

٢- احتوت الأصول المؤسسة للخطاب الديني من القرآن والسنة على العديد من المرتكزات التي يمكن الانطلاق منها لإحداث تغيير مجتمعي يهدف للعمل على استقرار المجتمع.

٣- للخطاب الديني أهمية كبرى في إصلاح وتغيير المجتمع نحو الأفضل في العديد من الجوانب الحياتية: الفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقضائية.

٤- تتنوع آثار الخطاب الديني المعتدل على الفرد والمجتمع في العديد من المظاهر، أهمها: التعايش السلمي، ونبذ العصبية والدعوة إلى الحوار، والعمل على نشر القيم والمبادئ العظيمة، والمساهمة الفعالة في الحفاظ على أمن المجتمع وسلامة أفراده.

- **ثانيًا: التوصيات والمقترحات.**

١- العمل على تجديد الخطاب الديني للمساهمة الفعلية في التعامل الإيجابي مع الآخر من خلال تفهم الآراء والأفكار بعيداً عن الانغلاق الذاتي الذي لا يحترم السلم الاجتماعي.

٢- العمل على تجديد الفكر والرؤية وتطوير خطابنا الديني كي يلقي اذاناً صاغية وقلوباً واعية.

٣- العمل على ممارسة الاجتهاد الفقهي بكل ثقة وبخلاف ذلك فإننا نبقى من حيث نحن لا نتغير ولا نتجدد وقانعين بالتبعية والتخلف والطائفية والتطرف وكل ما يسئ لنا.

٤- ضرورة تفعيل الخطاب الديني البناء في كل مناحي الحياة لتحقيق النفع للناس من خلال تحقيق التنمية، والعدالة الاجتماعية، والقضاء على البطالة، والعمل على استقرار المجتمع.

٥- ترشيد الخطاب الديني والإبداع فيه والتجديد حسب مقتضيات العصر وما يحتاجه الناس.

٦- تجنب سلبيات الخطاب الديني من اجل نشر الخير بشكل افضل وميسر وسهل.

قائمة المراجع والمصادر

١- الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، إبراهيم العسل، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٩٧م.
٢- جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي، تح: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ط١، ١٩٨٧م.
٣- أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، تح: محمد القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط١٤٢٠هـ.
٥- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.
٦- تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد، أحمد عبدالله الطيار، حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد (٢٢) ، ٢٠٠٥م.
٧- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ابن حبان البستي، دار الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ.
٨- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٩- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٠- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ضوابطه وتطبيقاته، صالح عبدالله حميد، ط مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٠٣هـ.
١١- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، الطوفي الحلبي، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٢- الخدمة الاجتماعية والتغيّر الاجتماعي، الفاروقي زكي يونس، دار عالم الكتب، مصر، ط٢، د. ت.
١٣- حتى لا تذبل قيمنا، محمد بن أحمد الرشيد، مكتبة العبيكان، السعودية، ط٣، ٢٠١٤م.